**الجامعة المستنصرية**

**كلية الآداب / قسم اللغة العربية**

**استاذ المادة : أ.د. افتخار عناد الكبيسي**

**اسم المادة: أدب عباسي**

**اسم المحاضرة :**  **الحالة الاجتماعية**

**تسلسل المحاضرة: الثانية**

**المرحلة : الثالثة**

**ب - الحالة الاجتماعية :**

في البداية لابد أن نشير الى أن الدولة العباسية كانت تمتد من حدود الصين واوساط الهند شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ومن المحيط الهندي والسودان جنوبا الى بلاد الترك والروم والصقالبة شمالا وبذلك كانت تضم بين جناحيها السند وخرسان وما وراء النهر وايران والعراق والجزيرة العربية والشام ومصر والمغرب .

**أولا /الحضارة والثراء والترف :**

لما فتح العرب العراق وايران والشام ومصر ،ورثوا ما في الأولى والثانية من الحضارات الساسانية والكلدانية والآرمية ،وما في الثالثة والرابعة من حضارات بيزنطينية وسامية قديمة ، وأخذوا يكونون من ذلك ومن تراثهم العربي الخالص حضارتهم الإسلامية حتى إذا نقل العباسيون حاضرة الخلافة الى العراق غلبت عليهم الحضارة الساسانية وغلبت على ما كان به من عناصر كلدانية وآرمية وهي تبدو واضحة في بناء بغداد إذ اقامها المنصور مستديرة على شاكلة (طيسيفون ) المعروفة بأسم (المدائن ) حاضرة الساسانيين وابتنى فيها قصره المعروف بقصر (الذهب )على طراز قصورهم ذات الأواوين الفخمة .

وقد كشفت حفائر (سامراء ) و(بغداد ) عن التفنن في بناء الدور والقصور إذ كثرت في الدور حمامات ومجار تحت الأرض وسراديب معدة للسكنى وتكثرالشرفات وتلحق بها بعض البساتين وبعض النافورات والبرك وكانت مصاريع الأبواب تصنع من الخشب المحلى بالنقوش وتتألق النوافذ والزجاج الملون وتزخرف الحيطان بالنقوش المستوحاة من الطير والحيوان والأشجار والأزهار ، وقد تعلق عليها ستائر الحرير المزركشة وتحفرعلى الحيطان بعض الصور ( كالعنقاء ) اما ارض الدار فكانت تموج بالبسط الإيرانية والأرمنية والطنلفس ومناضد الأبنوس والتحف الثمينة والجامات المذهبة والأواني المرصعة بالجواهر .

ولا ريب أن هذا البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي وكانت خزائن الدولة هي المعين ( الغدق ) الذي هيأ لكل هذا الترف ، فقد كانت تحمل اليها حمول الذهب والفضة من اطراف الأرض ، ولذا أثرت الحالة الإقتصادية في نشوء طبقتين اجتماعيتين بارزتين في ذلك العصر وهي :

أ – الطبقة الخاصة : وتضم ( الخلفاء ، الوزراء ، الأمراء ، القادة ، الولاة ، وكبار رجال الدولة ، واصحاب الإقطاع ، وذوي اليسار ) .

وكانت هذه الطبقة تعيش حياة ( اللهو ، الترف ، البذخ ، الإسراف ) .

ب – الطبقة العامة : وتضم ( الصناع ، الفلاحين ، الكسبة ، أصحاب المهن الصغيرة ، الخدم ، الرقيق ) هذه الطبقة تعيش حياة ( البؤس ، الشقاء ، الفقر ،الحرمان ).

**ثانيا / الرقيق والجواري والغناء :**

كثر الرقيق في العصر العباسي كثرة مفرطة ، بسبب كثرة ما كانوا يؤسرون في الحروب وبسبب انتشار تجارته ، ومعروف أن الإسلام يقصر الإسترقاق على اسرى الحروب من الأجانب غير أن تجارة الرقيق كانت منتشرة في ايران وخراسان وما ورائهما وفي الدولة البيزنطينية وعظمت هذه التجارة في الإسلام على مر السنين حتى كان في بغداد شارع خاص بها يسمى شارع ( الرقيق ) وكان يقوم عليه موظف يسمى ﺑ ( قيم الرقيق ) . وكان الرقيق حينئذ يجلب من بلاد الزنج وافريقيا الشرقية ومن الهند واواسط اسيا ومن بيزنطة وجنوب اوربا وكان الزنوج يعملون في الفلاحة غالبا أما غيرهم فكانوا يقومون بالاعمال اليدوية والخدمة في المنازل والقصور . وقد دعا الإسلام دعوة واسعة الى تحرير الرقيق فكان كثير منهم يحررون وقد يصل بعضهم الى أرفع المناصب في الدولة مثل الربيع بن يونس مولى المنصور وحاجبه ثم وزيره ، وكان الرشيد يستكثر منهم حتى قيل انه سار يوما وبين يديه اربعمائة منهم ، وقد شغف المعتصم بالرقيق التركي وما زال يشتريهم من أيدي مواليهم ومن النخاسين حتى اجتمعوا له بالآلاف واضطر ان يبني لهم ( سر من رأى ) كي يجنب العامة شرهم وأذاهم .

وتجدر الاشارة الى ان رقيق النساء اكثر عددا من رقيق الرجال ، فقد ذخرت بهن الدور والقصور وهن من اجناس مختلفة فمنهن ( السنديات ، الحبشيات ، الفارسيات ، الخراسانيات ، الأرمنيات ، الروميات ) . وكانت كثيرات منهن يثقفن بفنون الآداب ، بل كان منهن من يتقن نظم الشعر ومنهن من تجيد الغناء فكن فتنة من فتنة العصر إذ شغلوا الناس به وكأنه نعيمهم من دنياهم الذي لا يؤثرون سواه لما يبعث في نفوسهم من غبطة وابتهاج ، وبلغ من رقي هذا الفن وارتقاء شأنه في النفوس أن أقبل الخلفاء وعلية القوم على تعلمه واتقانه حتى لنراهم ليصنعون فيه ألحانا وأصواتا تنسب اليهم ، وقد جعل هذا الغناء الذي ملأ حياة الناس واستأثر بقلوبهم يرفع اثمان الجواري المسمين ﺑ ( القيان )االلائي كن يتقنه . وقد اشاع هؤلاء الجواري والقيان في المجتمع ضروبا من الرقة والظرف ، وكان لذلك أثره البالغ في الشعر والشعراء فقد شاعت في كثير من معانيهم الرقة المفرطة والإشارة الدالة واللمحة المعبرة . واقترن بهذا الظرف مظاهر كثيرة في الأزياء وفي العطور وفي اداب الطعام والسمر ، ومن اهم مظاهره تهادي القوم بالأزهار والرياحين رامزين بأسمائها واشكالها الى معاني المودة والمحبة .

**ثالثا / المجون :**

ورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني من ادوات لهو ومجون ، وساعد على ذلك ما دفعت اليه الثورة العباسية من حرية مسرفة حتى أخذ الناس يمعنون في مجونهم ، فقد مضوا يعبون الخمر عبأ ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة الى أن اصبح الادمان عليها ظاهرة عامة في ذلك المجتمع على الرغم من إن القرآن الكريم نهى عنها وحض على إجتنابها إذ قال عز وجل : (( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغظاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون )) . وكان من اسباب انتشارها واقبال الناس عليها أن ادى اجتهاد بعض الفقهاء الى تحليل بعض الأنبذة كنبيذ التمر ، والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ، ونبيذ العسل والبر والتين . فشرب الناس والخلفاء هذه الأنبذة وتهالك البعض منهم إمعانا في المجون على انواعها المحرمة بإجماع الفقهاء .

وقد تفنن الشعراء في وصف كؤوسها ونشوتها وآثارها في العقل والجسد ووصفوا مجالسها وسقائها واقترنت بالغناء والرقص إذ تحول المقينون في كرخ بغداد والبصرة والكوفة بدورهم الى حانات كبيرة للشرب في كل مساء واقترن الشراب بغناء القيان وضرب الطبول والدفوف . ومما لا ريب فيه إن ادمان الخمر حينئذ دفع الى كثير من المجون والعبث والإباحية وكان المجتمع زاخرا بزنادقة وملاحدة وأناس منديانات شتى فمضى كثير من يطلقون لانفسهم العنان في ارتكاب الأثام متحررين من كل قانون للخلق والعرف والدين . وقد دفع هذا الفساد الخلقى الذي كان يشيعه ( القيان والجواري ) في هذا العصر الى إنتشار الغزل المكشوف ( الإباحي ) الذي لا تصان فيه كرامة المرأة والرجل ، وقد اشاع هؤلاء المجان أفة مزرية وهي أفة التعلق بالغلمان ( التغزل بالغلمان ) .

**رابعا / الشعوبية والزندقة :**

الشعوبية : نسبة الى الشعوب الأعجمية وهي نزعة كانت تقوم على مفاخرة تلك الشعوب وفي مقدمتها الشعب الفارسي على العرب تستمد من حضاراتهم وما كان فيه العرب من بداوة وحياة خشنة غليظة وقد قدموا الشعوب الأجنبية على العرب ونقصوا من قدرهم وحطوا من شأنهم .

الزندقة : وهي حركة الحادية تقوم على بغض الدين الإسلامي وكل ما اتصل فيه من عرب وعروبة . وكلمة ( الزندقة ) ليست عربية إنما هي تعريب لمصطلح فارسي توسع في العصر العباسي فشمل كل الحاد بالدين وكل مجاهرة بالفسق .

**خامسا** **/ الزهد** :

ليس معنى ما قدمناه من حديث عن الزندقة والمجون إن المجتمع العباسي كان مجتمعا منحلا أسلم نفسه للإلحاد والشهوات ، فالإلحاد والزندقة إنما شاعا في طبقة محددة من الناس كان جمهورها من الفرس وكانت موجة المجون أكثر حدة ، ولكنها لم تكن عامة في المجتمع بل كانت خاصة بالمترفين من حولهم من الشعراء والمغنين ، وإذا كانت حانات الكرخ ودور النخاسة والمقينين إكتظت بالجواري والقيان والمغنين ، فإن مساجد بغداد كانت عامرة بالعباد والنساك وأهل التقوى والإصلاح ، وكان في كل ركن منها حلقة لواعظ يذكر بالله واليوم الآخر وما ينتظر الصالحين من النعيم ، والعاصين من العذاب والجحيم . وكان من الوعاظ من يقتحم قصر الخلافة ليعظ الخلفاء على نحو ما هو معروف من عمر بن عبيد في وعظه للمنصور ، وصالح بن عبد الجليل في وعظه للمهدي ، وإبن السماك في وعظه لهارون الرشيد وكان الوعظ في هذا العصر يلتحم بالقصص للعظة والعبرة إذ كثر قصاص الوعظ الذين كانوا يدفعون الناس الى العبادة ورفض المتاع الدنيوي وسلوك السبيل الواضح الى نعيم الأخرة ، وكان بجانب هؤلاء القصاص الواعظون كثير من النساك إذ كانوا منتشرين في كل الإمصار وكانوا يحيون حياة الزهد خالصة كلها تبتل وعبادة وإنقباض عن الإستمتاع بالحياة الدنيا وملذاتها لما عند الله من النعيم السرمدي الذي لا يزول ، وأخذت مقدمات التصوف بالبروز والظهور ، أما تكونه التام فقد حدث في العصر التالي .